بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ
ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا
وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا
هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾
۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟
مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

سورة الجاثية

سورة الجاثية مكية وآياتها سبع وثلاثون آية.

[١] سبق الكلام علىٰ الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

[٢] بدأ جل وعلا هذه السورة بالإخبار أن هذا القرآن العظيم منزل من عند الله، وأنه حامل بين طياته الهدىٰ والنور وأنه من الله العزيز الذي لا يغلبه غالب، الحكيم في خلقه وقدرته وتدبيره.

[٣] ثم بين جل وعلا أن في خلق السماوات والأرض وخلق ما فيهما من آثار دالة علىٰ قدرة الله؛ لأدلة وبراهين ساطعة وواضحة للمؤمنين؛ لأنهم هم الذين ينتفعون ويستدلون بالمخلوقات علىٰ عظمة الخالق وحكمته.

[٤] وبين جل وعلا أن خَلْقَكم أيها الناس من نطفة ثم علقة ثم مضغة، ثم التدرج في مراحل أعماركم وتشكيل أجسامكم واختلاف ألسنتكم وألوانكم، وكذلك فيما يبث في الأرض من الدواب التي لا تحصىٰ ولا تعد؛ حيث جعل في كل أرض ما يناسبها من الدواب والنبات والثمار، كل هذا الصنع البديع شواهد علىٰ عظمه الله المبدع وقدرته وحكمته؛ وأدلة ساطعة وبراهين واضحة لقوم يوقنون بالله وشرعه.

[٥] ثم بين جل وعلا أن في اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما علىٰ مرّ الدهور بمجيء الليل وذهاب النهار والعكس، وما أنزل الله لكم من السماء من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها، أي: خلوِّها من النبات؛ فأنبتت زرعها، وأخرجت خيرها، وفي تصريف الرياح من جميع الجهات لصالحكم ولخدمتكم؛ فاعلموا أن في كل ما سبق من النعم لآيات واضحات الدلالة علىٰ وحدانية الله وكمال قدرته، وإنما ينتفع بهذه الآيات الذين يُعمِلون عقولهم ويتفكرون فيها.

[٦] واعلم يانبي الله أن تلك الآيات المذكورة هي حجج الله الدالة علىٰ وحدانيته وكمال قدرته؛ وإن الله يخبرك بها بالحق؛ فبأي حديث بعد حديث الله، وبعد آياته يؤمن هؤلاء ويصدقون؟!!

[٧] ثم توعد جل وعلا بالعذاب الأليم يوم القيامة كل أفاك أثيم، أي: كل إنسان كثير الكذب كثير الذنوب المعاصي، ويدخل في هؤلاء كل الزنادقة والدهريين والكفرة والملحدين.

[٨] ثم بين سبحانه أن من صفات هذا الأفاك الأثيم أنه يسمع كتاب الله وهو القرءان الكريم يقرأ عليه صباحًا ومساءً، ثم يصر علىٰ الكفر والضلال والاستكبار، وكأنه لم يسمع ما يتلىٰ عليه من الآيات؛ فهذا وأمثاله بشره يانبي الله بعذاب أليم موجع في نار جهنم يوم القيامة.

[٩] ثم أخبر جل وعلا أن هؤلاء الكفار إذا بلغهم ووصل إليهم شيء من آيات القرآن؛ فإنهم يسخرون ويستهزؤون بها، فأولئك لهم في الآخرة عذاب أليم يهينُهُم ويذلهم ويفضحهم.

[١٠] وبعد أن ذكر جل وعلا سخريتهم واستهزاءهم بآيات الله؛ ذكر أن مصيرهم جهنم وأنها تنتظرهم، ولن يدفع عنهم عذاب الله اختراعاتهم واكتشافاتهم وما اكتسبوا في الدنيا من المال والولد، ولن تنفعهم آلهتهم التي عبدوها من دون الله، ولهم في الآخرة عذابٌ عظيمٌ.

[١١] ثم ذكر جل وعلا أن هذا القرآن الذي أنزلناه عليك يانبي الله هدىٰ ونور لمن وفقه الله، أما أولئك الذين جحدوا ما في هذا القرآن من الآيات والبراهين الدالة علىٰ صحته وصدق من جاء به؛ فلهم أشد أنواع العذاب المؤلم الموجع.

[١٢] يخبر جل وعلا بفضله علىٰ عباده وإحسانه إليهم، وذلك بتسخير البحر لهم لتسير فيه المراكب والسفن بأمره وقدرته سبحانه؛ لتنقلكم من مكان إلىٰ مكان لم تصلوا إليه إلا بشق الأنفس، ولتبتغوا من فضله بأنواع التجارات والمكاسب، وتستخرجون منه الحلي والطعام كاللؤلؤ والأسماك وغير ذلك، ولعلكم بعد ذلك تشكرون الله علىٰ هذه النعم العظيمة.

[١٣] ثم أخبر جل وعلا أنه سخر لكم أيها الناس جميع ما خلق في السماوات من الكواكب والأنوار والأضواء والأمطار، وجميع ما خلق في الأرض من الدواب والشجر والسفن والمعادن وغير ذلك، وبين أن جميع هذه النعم منه وحده، تفضل بها عليكم؛ لكي تعبدوه وحده لا شريك له، واعلموا أن فيما سخره سبحانه لكم لعلامات ودلالات لقوم يتفكرون في آيات الله وحججه وبراهينه فيعتبرون بها.

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ
قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ
وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ
فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ
يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَآئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾
أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ
مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ
وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

[١٤] وقل يانبي الله للذين آمنوا بالله واليوم الآخر واتبعوك: أن يصبروا علىٰ أذية المشركين الذين لا يرجون ثواب الله ولا يخافون عقابه، فإن الله سبحانه وتعالىٰ سيجازي كل قوم بما كسبوا، وبما عملت أيديهم. قال ابن عباس رضي الله عنه في رواية عطاء: يريد بقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: عمر بن الخطاب رضي الله عنه خاصَّة، وأراد بالذين: ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾: عبدالله بن أبيٍّ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

[١٥] واعلموا أيها الناس أن من عمل الأعمال الصالحة وداوم علىٰ ما يحبه الله ويرضاه فإنما يقدم الخير والسعادة لنفسه، ومن عمل الأعمال السيئة، وأقام علىٰ ما يكرهه الله ويأباه؛ فإنما يجني علىٰ نفسه ويقدم لها الشقاء والعذاب، ثم إلىٰ ربكم ترجعون؛ فيجازي كلًّا بما عمل وبما قدَّم.

[١٦] أخبر جل وعلا أنه أعطىٰ بني إسرائيل التوراة والإنجيل ليكونا هداية ونورًا لهم، وأعطاهم الفهم والفقه للأحكام ليحكموا بين الناس بالعدل، وأعطاهم النبوة فجعل أكثر الأنبياء من ذرية إبراهيم عليه السلام فيهم، ورزقهم جل في علاه من أنواع المطاعم والمشارب الطيبة، وفضلهم علىٰ عالمي زمانهم، وهكذا فإن أتباع كل نبي مفضلون علىٰ عالمي زمانهم.

[١٧] ثم بين جل وعلا نعمة أخرىٰ أنعم بها علىٰ بني إسرائيل وهي أنه أعطاهم دلالات تبين لهم الحق من الباطل، وتوضح لهم الحلال والحرام، فما وقع الاختلاف فيما بينهم إلا بعدما بلغهم العلم ووصل إليهم واضحًا جليًّا، وكان الحاملُ لهم علىٰ هذا الاختلاف هو: بغي بعضهم علىٰ بعض، وظلم بعضهم لبعض، واعلم يانبي الله بأن ربك يقضي بينهم بالعدل، ويفصل بينهم بالحق يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا، وفيما بغىٰ بعضهم علىٰ بعض فيه.

[١٨] ثم أخبر جل وعلا نبيه محمدًا ﷺ أنه شرَّع له شريعة كاملة، وجعله علىٰ منهاج واضح في أمر الدين، وأمره بأن يمتثلها وأن يعمل بأحكامها، وأن لا يتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالله، ولا يعلمون توحيد الله وشرائعه لعباده.

[١٩] واعلم يانبي الله أنك إذا اتبعتَ هؤلاء الضالين فإنهم لن ينفعوك عند الله، ولن يجلبوا لك نفعًا، ولن يدفعوا عنك ضرًّا، وإن الظالمين المُجَاوِزينَ حدودهم ينصر بعضهم بعضًا في الدنيا، واللهُ ناصرُ المؤمنين الذين جعلوا بينهم وبين عذابه وقايةً بتوحيده، وفعل أوامره واجتناب نواهيه.

[٢٠] ثم اعلم يانبي الله أن هذا القرآن نور وضياء وأدلة ساطعة وبراهين قاطعة؛ وقد أنزلناه لتبصير الناس في جميع أمورهم، وهدايتهم إلىٰ الهدىٰ ودين الحق، ورحمة واسعة لمن آمن وأيقن به.

[٢١] ثم سأل جل وعلا علىٰ سبيل الإنكار: هل ظنَّ الذين اكتسبوا السيئات من الكفر والمعاصي أن نجعلهم في مرتبة ودرجة واحدة مع الذين آمنوا بالله، واتبعوا أمره، وأقاموا علىٰ ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال؟!! هل ظنوا أن نساوي بينهم في الدنيا والآخرة؟! كلا!! لا يستوون أبدًا، ساء ما ظنوا وما حسبوا، وساء حكمهم الذي حكموا به؛ فإن الله جل في علاه حكم عدل.

[٢٢] ثم أكد جل وعلا عدم المساواة بين الفريقين فأخبر بأنه هو الذي خلق السماوات والأرض وأوجدهما من العدم؛ بالحق والحكمة؛ ليختبر الناس بتوحيده وإخلاص العبادة له، وليجزي الله كل نفس ما كسبت من خير أو شر، ولن يُظلموا شيئًا من أعمالهم، وإن كان مثقال حبة من خردل.

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ
وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ
إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾
وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ
مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا
مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا
قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

[٢٣] وانظر يانبي الله وتأمل: هل رأيت ذلك الشقي الذي اتخذ هواه إلهًا له؛ فلا يهوىٰ شيئًا إلا فَعَله، وقد أضلَّه الله بعد معرفته وبلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه، أي: أنه كان ضالًّا متبعًا لهواه مع علمه بالحق والهدىٰ، ولكنه أصر علىٰ الكفر والضلال؛ فطبع الله علىٰ سمعه وقلبه، فلا يسمع مواعظ الله، ولا يعقل شيئًا فيه هدايته ورشده، وجعل علىٰ بصره غطاء فلا يبصر به حجج الله؟ فمن يوفق هذا الشقي للحق بعد أن أضله الله؟ أفلا تتذكرون وتتعظون أنَّ مَن فَعَل الله به ذلك فلن يهتدي أبدًا؟ وإضلال الله له جزاءً له علىٰ جحوده وإصراره علىٰ الكفر والشرك وليس ابتداءً.

[٢٤] وقال هؤلاء المشركون الدهريون منكرو البعث علىٰ سبيل الجهل والعناد وجحود الحق: ليس هناك حياة إلا الحياة التي نحيا فيها، نموت نحن الآباء ويحيا الأبناء، وما يهلكنا إلا مرور الأيام والليالي والسنون، وهذا الذي يقوله هؤلاء المشركون عن البعث ليس عن علم؛ بل هو عن تخرص وتوهم وتخيل، وأيضًا يقولون ذلك تهربًا من المسئولية؛ لأن الإيمان بالآخرة يتطلب العمل لها.

[٢٥] وهؤلاء المشركون المعاندون إذا تُقرأ عليهم آيات القرآن الواضحة في الأمر بالتوحيد، والدلالة علىٰ البعث والنشور، لم يكن لهم من حجَّةٍ إلا أن يقولوا: أحْيوا لنا آباءنا إن كنتم صادقين في قولكم إن هناك بعثًا بعد الموت.

[٢٦] وقل يانبي الله ردًّا علىٰ هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث: اعلموا بأن الله هو الذي يحييكم في الحياة الدنيا ما شاء لكم تَحْيَوا، ثم يميتكم فيها عند انقضاء آجالكم، ثم يجمعكم ويعيدكم يوم القيامة للحياة مرة أخرىٰ للجزاء والحساب، وهذا اليوم الذي هو يوم القيامة سوف يأتي لا شك في ذلك، ولكن أكثر الناس لا يعلمون حقيقة ذلك.

[٢٧] واعلموا أيها الناس أن لله وحده ملك السماوات والأرض فهو الذي خلقهما وأبدعهما علىٰ غير مثال سابق، ويوم تجيء الساعة التي يبعث فيها الموتىٰ من قبورهم ويحاسبون؛ تكون الخسارة علىٰ الكافرين الجاحدين الذين اختلقوا الأباطيل وصدقوها وآثروا الكفر علىٰ الإيمان.

[٢٨] وفي يوم القيامة سوف ترىٰ يانبي الله أصحاب كل ملة ودين جاثمين علىٰ ركبهم من هول ذلك اليوم، قال الحسن: (باركين علىٰ الركب) ، كل أمة تدعىٰ إلىٰ صحيفة أعمالها، ثم يقال لهم: اليوم سوف تجزون علىٰ أعمالكم في الدنيا بما تستحقون، لا ظلم اليوم.

[٢٩] ثم يقال لهؤلاء المشركين: هذا كتاب أعمالكم الذي كتبته عليكم الملائكة بين أيديكم، ينطق عليكم بالحق، فإن الله جل في علاه كان يأمر الحفظة أن تكتب جميع أعمالكم الصالحة والطالحة، وربما يكون تسجيل الأعمال بالصوت والصورة؛ فالله علىٰ كل شيء قدير.

[٣٠] ثم فصل جل وعلا فأخبر أن الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ في الدنيا، وامتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه، فإن الله يدخلهم في جنته ورضوانه، ولا شك أن هذا الثواب الجزيل هو الفوز المبين الذي لا فوز بعده.

[٣١] وأما الذين جحدوا آيات الله وكذَّبوا رسله، فإن الله يبكتهم ويؤنبهم علىٰ استكبارهم واتباع شهواتهم ويقال لهم: أفلم تكن آيات الله تتلىٰ عليكم فاستكبرتم عن الاستماع إليها والإيمان بها، وكنتم قومًا مشركين تفعلون المعاصي ولا تؤمنون بثواب ولا عقاب؟

[٣٢] وإذا قيل لهؤلاء المكذبين بالبعث: إن وعد الله بالبعث والنشور حقٌّ، والساعة آتية لا شك في ذلك، قلتم منكرين لذلك: أيّ شيء هي الساعة؟ ما نظن قيامها إلا توهمًا، وما نحن بمُتيَقِّنين من ذلك.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾

[٣٣] ثم بين جل وعلا ما ترتب علىٰ أقوال هؤلاء المشركين الباطلة؛ حيث ظهر لهم ما عملوا من الشرك والتكذيب بالبعث والنشور، ونزل بهم العذاب الذين كانوا يستهزؤون به ويستعجلون مجيئه.

[٣٤] وفي يوم القيامة يقال لهؤلاء المشركين علىٰ سبيل التأنيب والزجر: اليوم نهملكم ونترككم في جهنم للعذاب، كما تركتم الإيمان بالله في الدنيا والعمل لهذا اليوم، وكنتم تصرون علىٰ الكفر والشرك والعناد؛ فمسكنكم الذي تأوون إليه هو نار جهنم، وليس لكم في هذا اليوم من ناصر ينصركم ليخفف عنكم عذاب الله.

وعبر بالنسيان مشاكلة لفعلهم؛ وإلا فالله لا تغيب عنه غائبة، ولا تخفىٰ عليه خافية في الأرض ولا في السماء، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والنسيان ممتنع بالنسبة لله: هو هنا الترك الدائم للكفار في العذاب.

[٣٥] ثم بين جل وعلا الأسباب التي أدت بهؤلاء المشركين إلىٰ هذا المصير السيِّئ؛ فأخبر أن ذلكم العذاب والنكال الذي أصابهم، وخلودهم في النار؛ بسبب أنهم اتخذوا القرآن للاستهزاء والسخرية، وخدعتْهُم زينة الحياة الدنيا وزخرفها الزائل؛ فاليوم لا يُخرجون من النار أبدًا، ولا يقبل منهم معذرة أو توبة.

[٣٦] ثم ختم جل وعلا السورة مخبرًا أن له وحده الحمد والعظمة والثناء الكامل علىٰ نعمه التي لا تحصىٰ، وله الحمد علىٰ ربوبيته؛ فهو رب السماوات ورب الأرض وخالقهما ومدبرهما، ورب الخلائق أجمعين؛ حيث خلقهم ورباهم وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة الباطنة.

[٣٧] وأخبر سبحانه أن له وحده الكبرياء والعظمة والسلطان والجلال في السماوات والأرض، وهو العزيز الذي لا يغالب، والحكيم في أقوله وأفعاله، فله الحمد المطلق.

سورة الأحقاف

سورة الأحقاف مكيّة وآياتها خمس وثلاثون آية.

[١] سبق الكلام علىٰ الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

[٢] بدأ جل وعلا السورة بالإخبار أن هذا القرآن العظيم الحامل للهدىٰ والنور، والجامع لكل ما هو حسن وصدق؛ منزل من عند الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، القاهر لجميع خلقه، الحكيم في تصريفه لشؤونهم.

[٣] واعلموا أيها الناس أن الله جل وعلا ما خلق السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق الذي اقتضته قدرته وإرادته، والأجل الذي حدده وهو يوم القيامة، يوم تبدل الأرض والسماوات، ولكن الذين جحدوا آيات الله معرضون عن مواعظ القرآن وتوجيهاته، ولا يتفكرون في الآخرة ولا فيما خلقوا من أجله وهو عبادة الله وحده.

[٤] وقل يانبي الله لهؤلاء المشركين علىٰ سبيل التوبيخ والتأنيب: أرأيتم هذه الآلهة وهذه الأصنام والأوثان وغيرها من المخلوقات التي تعبدونها من دون الله، أروني هل خلقوا شيئًا من المخلوقات؟، أم أن لهم شراكة مع الله في خلق السماوات؟ فإذا لم يخلقوا شيئًا، ولم يكن لهم شراكة في شيء، إذًا كيف تعبدون من دون الله ما لا يضر ولا ينفع؟ أليس هذا هو الضلال والفساد المبين؟، ثم هاتوا أيها المشركون كتابًا من عند الله نزل قبل هذا القرآن، أو بقيَّة من علم تؤيد عملكم وتدل علىٰ صحة ما أنتم عليه من الشرك والضلال، إن كنتم صادقين فيما تزعمون.

[٥] واعلموا أيها الناس أنه لا يوجد أحد أشد ضلالًا وجهلًا من هؤلاء المشركين الذين يعبدون من دون الله هذه الأصنام وهذه الأوثان التي لا تجيب لهم دعاءً، ولا تسمع لهم كلامًا، ولا تعقل لهم نداءً، ولو جلس يخاطبها إلىٰ يوم القيامة، لأن هذه الأصنام والأوثان غافلة عن عبادة من يعبدها؛ بل لا تدرك شيئًا، ولا تحس بمن حولها.